قصة مصرية

الى غير معلوم

بقلم الأستاذ الكبير بشكل نكلا

١

اقبال تحب التلصص واستراق السمع، تتنقل من حجرة الى اخرى على اطراف اصابعها وتلتصق بكل باب يصادفها لتستمع إلى ما يدور وراءه من أحاديث وأسرار، حتى أمكنها أن تقف على كل صغيرة وكبيرة تجري في البيت .. وعلى كل خبر أو أدنى محادثة تجري بين أبيها وأمها أو بين أخيها وأختها في الخفاء .

وهكذا كانت اقبال تقضي فترة مراهقتها وشبابها في قصر أبيها الواسع، تهفو في ردهاته كالطائر الحائر الذي يهفو الى كل غصن، ويحط على كل شجيرة من شجيرات حديقتها الغناء ولعلها عودت نفسها مثل هذه المواقف لأن أباها وأمها لم يعيراها التفاتة ما . ولم يحاولا مرة أن يعرضا عليها امراً ينبغي بالها ليناقشاها فيه ، أو يأخذا برأيها فيما يستجد من متاعب ومشاكل الأسرة التي طالما طفح بها الكيل وقلقت لها النفوس .

وكانت ذات جمال أخاذ، صغيرة رشيقة في السادسة عشرة من عمرها، ملساء العود، موردة الوجنتين باسمة الثغر على الدوام .

وكان أبوها رجلا ذا مكانة موقرة في الهيئة الاجتماعية أعدها اعداداً جميلا، وأرسلها الى مدرسة خاصة، فاظهرت موهبة نادرة في القفز الى النتائج بخطى سريعة . وعرفت بين زميلاتها بحب استطلاعها، حتى إن خبراً واحداً ما كان ليخفى عليها، وهكذا عادت الى بيت أبيها تنتهز الفرصة انتهازاً، لتقف على كل مايقال، فجمعت في جعبتها في الشهور الاولى من عودتها أسراراً خطيرة . ولكنها آثرت أن تحتفظ بها لنفسها حتى يأتي ذلك الغد السعيد الذي تاقت اليه بكل جوارحها .

وهبطت اقبال ذات يوم الدرج الرخامي اللامع على اطراف اصابعها، لأن هاتفاً أنبأها أن همساً يدور في حجرة أبيها الخاصة بينه وبين زوجته . فاسرعت في خفة حتى اذا قربت من الباب تناولت سجل أرقام التلفون وراحت تقلبه في هدوء، فاذا حدث وفاجأها أبوها تظاهرت بانها تبحث عن رقم ما، والصقت الفتاة أذنها بالباب، وراحت تسترق السمع بحساسية مرهفة ولمعت عيناها فجأة وقالت لنفسها اذاً فهذا هو السبب !

فزوج أختها يسعى في الطلاق . وفوجئت الفتاة لسماعها هذا الخبر الذي ما كانت تتوقع حدوثه في يوم من الايام ولكنها سرعان ما ابتسمت، وغمرتها موجة من الفرح لا لمصير اختها، ولكن لأنها اخفت عنها سر عودتها بعد ثلاث سنوات قضتها بعيداً عنها في الاسكندرية .

وعادت إقبال تفكر من جديد ..... « إذن فقد نبذها

وأصلت العزم والمواضي ... وسوم الصافنات جردا
إلية بالهجان تهوي ... في البيد نصاً بها ووخداً
يرفع منه السراب طورا ... تخاله في الجبال فندا
يرقصها في السرى مغن ... بصوته والرياح تحدا
لأنت ياسؤددي وفخري ... وباعي الطائل الأشدا
وخير حي وهم خيار ... الأنام في محضر ومبدى
أربي من جميع قومي ... وأنفع الناس لي وأجدى
أأضمر البعد عنك يوما ... سحقاً لها خطة وبعدا
لكن أتيت « المقام » لما ... جر علي الفراق جندا

فلم أجد من أود فيه ... إلي وإله برا معدّا

وقوله ناقماً على الكسالى من الروحيين :

إن كنت لاتعرف العبادة ... أو كنت لاتعرف القيادة
فأنت والله من أناس
قد خسروا الغيب والشهادة

اقتضبنا هذه الترجمة من الأصل الموجود في كتابنا مرجئين البحث المستفيض لحين خروج الكتاب من الطبع

[البيان]

نجدها ! بالله ما أعجبه من انسان شاذ ... » وتنقل بها الفكر سريعاً الى اختها [منى] فهتفت تقول : بالله ما أخبثها تلك القطة الرعناء ! لم تفه بكلمة واحدة امامي . وهذا هو ثالث شهر لها معي أعيش وإياها تحت سقف واحد . انهم يتهمونني بحب استطلاعي ... بالله ما أخبثها .. !!! إذن فانا الوحيدة التي لم أطلع على الخبر ، ولا شك أن سامي أيضاً على علم به ... »

وكان ابوها في ثورة غضب عنيفة وهو يتحدث الى زوجته ثم ما لبث أن راح يقطع الغرفة جيئة وذهوبا في حركات عصبية شديدة ، ويتفوه بكلمات ملؤها التهديد والوعيد — لوجاء الخبيث الى هنا فسوف أريه ! يريد أن يطلق ابنتي يا للفضيحة !! وعلى كل فلن اترك له طريقاً يخطوه .. بل سأريه من أكون ، وأنزع جلده بيدي هذه ! ..

وهدأت الأم من روع زوجها ، حتى أعادت اليه الهدوء وكان كل من في البيت يعتقد بان اقبال خرجت لزيارة صديقة من صديقاتها ، لتقضي معها فترة الاصيل ، ولكن الفتاة عادت وعدلت عن هذه الزيارة لأنها اشتمت رائحة أخبار جديدة . وهكذا دلفت الى البهو الواسع ، والصقت اذنها بباب حجرة أبيها تستمع الى الخبر الكبير ... وفجأة تقدم ابوها ناحية الباب ، وقبض على كرته ، فانتفضت اقبال ولكن لم يفتح الباب على الأثر ، فاسرعت الفتاة في خفة النمر ، وألقت بنفسها فوق أريكة كبيرة في نهاية البهو لحظة ثم تركتها ودلفت الى حجرة مقابلة ثم هبطت الدرج الى غرفتها الخاصة . وهكذا لم يلمحها انسان ، وكأنها لم تقف على خبر بذي بال !

وأطلت اقبال من النافذة ، فرأت أخاها سامي ، وكان مدمناً على الشراب ، يرافق اختها منى في عربته .. فهتفت تقول لنفسها : لاشك انهما تملين .. فكم من مرة شممت فيها رائحة الخمر تفوح منهما أثر عودتها كل ليلة من المنتديات والمجتمعات الصاخبة التي اعتادا الاندماج فيها ، ولكنها أشاحت بوجهها عنهما . واسرعت تقف امام مرآتها ، تتفرس في دقائق جسمها وجمالها ، ثم قفز الى مخيلتها خاطر غريب فلمعت عيناها بضوء قوي نفاذ ، واسرعت الى زهرة قرمزية واقتطفتها من مجموعة زهورها النادرة واخذت تداعب وريقاتها الرقيقة ثم تضمها الى صدرها وتنهال عليها تقبيلا وتهمس لنفسها : ياحظا من قبلة لا انسانا ! تلك القبلة التي طبعها على شفتي يوم زفافه وقال انها قبلة أخوية لا اكثر ولا اقل ...

وتمثلته في حيويته الدافقة ، وهو يضمها على صدره ، ثم ينطلق من امامها الى عروسه [منى] ويتركها وحدها واقفة فوق الدرج لا تعي مما يدور امامها شيئا ..

***

ومرت الأيام كما يمر كل شيء في الحياة ، واقبال في حلم لا تنتهي منه ، يطغي عليها تفكيرها في زوج اختها فتبتسم ، وتتورد وجنتاها بمجرد أن يمر بذاكرتها طيفه

وجاء يوم كانت اقبال واقفة بجوار نافذتها ترقب الافق البعيد ، كأنها تستطلع ما وراءه من اخبار ، وما سوف يحمله اليها من انباء ، ولم تكذب حاستها السادسة بل سرعان ما رأت شبحاً ينهب الارض على صهوة جواده ، فاخذت تستوضحه وتجلوه شيئاً فشيئاً فاذا به عامل عرفته لتوه عامل التلغراف ...

واسرعت تنهب الدرج ، ثم تمهلت عندما لمحت الخادم يسرع ناحية الباب ، وان هي الا دقائق حتى تقدم الخادم وبيده برقية سلمها الى منى ، وقد تنبهت الى الحركة المفاجئة ، ففضتها على عجل واخذت تقرأ .. قادم بعد يومين انتظروني . (عصام) ..

وزجت منى واقبال في أعلى الدرج تراقب التغيير المفاجيء الذي اعترى شقيقتها ، فاربد وجهها وانحسر ثم شحب لونه ، فالقت بالبرقية الى امها وقد وقفت هي الاخرى متحسرة على شباب ابنتها الذابل وخيبة أملها في الحياة ...

واسرعت اقبال تقدح زناد فكرها فياعساه أن يستجد بعد يومين ، ثم تقدمت نحو مرآتها ، واخذت تبتسم لنفسها وتطيل النظر في عينيها الزرقاوين ، وتتقدم وتتأخر في حركات ايقاعية كلها دلال وتهافت ..

وفي المساء سمعت أباها يناقش امها في امر البرقية وان

عصام سيحضر يوم الاربعاء فهو سوف يطلق مني ». وانجلت امامها الحقيقة واضحة من غير غموض. فقد عادت مني منذ ثلاثة شهور وكانت تتفرد بامها وتتهامس واياها وتسر اليها باشياء لم تطلعها على اختها اقبال حتى اذا لمحتها قادمة نحوها أوقفت حديثها مع امها أو غيرت مجراه.

وكانت اقبال تظن في بادئ الامر أن مني حامل. ولكنها سرعان ما طرحت عنها هذا الفكر الخاطىء وقالت لنفسها لو كانت هذه الحقيقة لفرحت مني، وما بدت دامعة العين: منكودة الحظ على الدوام ...

وتقاذفتها أمواج الفكر الطائش فهتفت تقول لنفسها مرة اخرى ولو كنت مكانها لما فعلت فعلتها. بل كنت صاحبة ابنين او ثلاثة .. بالله ما اغباها

وجاء يوم الاربعاء، والسر لا يزال في طي الكتمان فلا احد اخبرها ولا احد رمز امامها بشيء تفهم منه سر الموضوع. فآبت الى حجرتها وجلست بجوار نافذتها، وظلت بجوارها ساعة باكملها تفكر في ذلك السبب المجهول الذي دعا والديها ألا يطلعاها عليه ان عصام سيحضر بعد قليل يتحدث في موضوع الطلاق ولا شك انه قد قر رأيه على ذلك ولا شك أيضاً انه لن يتزوج ثانية حتى يحصل على بغيته وما لا شك فيه أن مني في كبريائها وعجرفتها سوف توافقه في التو واللحظة ..

وتذكرت اقبال مرة اخرى اللحظة السعيدة التي قضتها مع عصام في أعلى الدرج، وقد طوقها بذراعيه وغمرها بقبلة ملتهبة قبل زواجه بساعات ..

وهمست الفتاة لنفسها: — يالغبائهم اذا كانت هذه طريقتهم في اخفاء الاخبار والاسرار فلا شك انني سأحتفظ بخططي واسراري دون منازع

ثم غادرت مقعدها، وذهبت الى مرآتها، وتزينت باجمل زينة ولسان حالها يقول:

« ها هو حبي قد عاد .... فالى غد سعيد .. »

القاهرة

ميشيل تكلا

النار . !!

لحسيب الكيالي

تيار نار في دمي جاري ... يضرم آرائي وافكاري
هديره أحسه في دمي ... وفي دموعي نذعه انواري
يضيء دربي فالدجى وجه ... من الشذى والنور والنار!
لم يعد الروض كعهدي به ... وليست الازهار ازهاري
خدودها، ألوانها، عطرها ... اطيارها تزقوا لأطياري
كأن نولي حاك تنجابها ... ومزهري غنى ومزماري،
كأنني بعثرت قلبي على ... أديمها الدافي وآثاري
فهنا من ألفي ومضة، ... وهنا تخضر أنواري
أي من الدروب أجري به؟ ... من أيها أبدأ تسياري؟
حبيبتي اصبحت في قربها ... أخاف أن اتلو اشعاري
اخاف ان أنشدتها اليوم ان ... يندى جبيني، في غد، عاري
تدفعني ناري الى هوة ... أو جرف مخوف هار،
ونداره تعصب بي جبهتي ... بقضب الزيتون والغار.
النار من صوتي في اعمقي ... اخاف ان تأكلني ناري!

دمشق

حسيب الكيالي